Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (36), (Sept 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد(9) ملحق العدد (36) (سبتمبر 2025)
ردمد: 3014-6266

الروابط الحجاجية دراسة تداولية في شعر مصطفى بن زكري

سمر محمد تيسير نويلاتي، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية التربية أبو عيسى . جامعة الزاوية. الزاوية. ليبيا

* **البريد الإلكتروني:** s.nwelaty@zu.edu.ly

(Excerpt of the argumentative structure of Mustafa Bin Zikry poetry, a study in modern linguistics)

SAMER EL NOWAYLTAL
[1] Department Of Arabic Studies, Abu - Isa Faculty Of Education, University Of Zawia, Zawia, Libya

تاريخ الاستلام:2025/8/23 –تاريخ المراجعة: 2025/9/24– تاريخ القبول: 2025/10/4– تاريخ للنشر: 2025 /10/10

الملخص:

يُعدُّ الحجاج أسلوباً تواصليا يعتمد أساساً على تقديم الحجج والبراهين والأدلّة قصد إقناع الطّرف الآخر، لذلك جاء البحث بعنوان (البنية الحجاجيّة في مقتطفات من شعر مصطفى بن زكري، دراسة في اللسانيات الحديثة) والهدف من هذه الدّراسة هو الكشف عن الرّوابط الحجاجيّة الموظَّفة في شعر ابن زكري، ولتسليط الضّوء على الشِّعر الليبي الحديث عامّةً، وعلى شعر ابن زكري خاصَّةً من زاوية حجاجيّة إقناعيّة، وليس فقط من زاوية جماليّة فقط.

الكلمات المفتاحية: البنية، الحجاج، التداولية، الروابط، القوانين، بن زكري.

Abstract:

Debating is considered a communication style or mean that fundamentally relies on showcasing arguments and proofs in order to persuade others. This research paper titled (Argumentative Connectives: A Pragmatic Study in the poetry of Mustafa Bin Zikry) is aimed to identify and discover the argumentative mechanisms used in Bin Zikry's poetry, in addition to, highlighting Libyan modern poetry in general and Bin Zikry's poetry in particular. This study will analyse the matter at hand from an argumentative persuasive standpoint, not just from an aesthetic point of view.

Keywords: Structure; Argumentation; Pragmatics; Links; bin Zekri.

المقدمة:

إنَّ الحجاج من أبرز المفاهيم التي حظيت باهتمام كبير لدى علماء اللغة القدامى، والنّظريات اللسانيّة الحديثة لاسيما البحث التّداوليّ، فالحجاجُ بطبيعته الخطابيّة الحواريّة يفرض حضوره في كلِّ المجالات، بدءً من الحوارات اليوميّة الدّائرة بين النّاس بشتّى أنواعها، وانتهاءً بالنّقاشات والقضايا الخلافيّة المختلفة، ولأنَّ الخطاب يحمل بين طيَّاته بعداً حجاجيّاً خالصاً، نألفه يوظّف مجموعة من التّقنيات الحجاجيّة التي تساعده على الاحتجاج لقضيته، وهذه التقنيات والآليّات الحجاجيّة اللغويّة يلعب فيها المكوّن اللغويّ دوراً في تشكيل الخطاب الحجاجي وتوجيهه الوجهة التي يريدها المتكلّم، مع ضمان اتّساق النّص، وانسجامه، وربط عناصره بالمعنى الكلّي للخطاب، لمدّ جسور التّواصل بين الأطراف المتخاطبة.

ولأنَّ الشّعر يُعَدُّ من أرقى الفنون الأدبيّة العربيّة منذُ العصر القديم، وحتّى العصر الحديث، من أجل ذلك تنجذب إليه جهود الدّارسين على اختلاف دراساتهم ومناهجهم، لذا فهو مصدر لشتّى الدّراسات، وتبعاً لذلك وقع اختياري على شعر مصطفى بن زكري الذي يُعدُّ من النّماذج الشّعرية الحديثة التي عكست مقولات الحجاج وعرضت لها في أحسن صورها.

وتأسيساً على ما سبق جاء البحث **موسوماً بـ (الروابط الحجاجية دراسة تداولية في شعر مصطفى بن زكري)**

و**الهدف من هذه الدّراسة** هو الكشف عن الرّوابط الحجاجيّة التي وظَّفها ابن زكري في شعره، ولتسليط الضّوء على شعر الليبي الحديث عموماً، وعلى شعر بن زكري خصوصاً من زاوية حجاجيّة إقناعيّة، وليس من زاوية جماليّة فقط.

وتكمن **إشكاليّة الموضوع** في الإجابة على التساؤلات الآتية:

س/ ما هو مفهوم الحجاج؟ وما علاقته بالتداولية؟ وما أبرز التقنيات الحجاجية الموجودة في الديوان؟ وكيف وظَّفها ابن زكري لإقناع المخاطب؟ وهل تستطيع هذه الآليات أنْ تعكس الهدف الحجاجي لقصائد ابن زكري؟ وهل تكون الحجج التي يوردها متساويّة في قوّتها؟ وإلى أيّ مدى استطاع ابن زكري أنْ يحقّق أهدافه الحجاجيّة من خلال هذه الرّوابط؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها قسّمتُ الدّراسة إلى مبحثين مسبوقين بمقدِّمة يتلوها مدخل وذيّلتها بخاتمة تضمّنت نتائج البحث.

المدخل: ضمَّنتُه التّعريف بمصطلحات البحث: البنية، والحجاج، والتداولية.

المبحث الأوَّل: تناولت فيه الرّوابط الحجاجيّة وأقسامها، والسّلالم الحجاجيّة، وقوانينها.

المبحث الثاني: أفردته لتطبيق الرّوابط الحجاجيّة على مقتطفات من شعر مصطفى بن زكري، وكذلك تراتيب الحجج في السّلم الحجاجي، ودور الرّوابط الحجاجيّة في ذلك.

والخاتمة: تتضمَّن أهمّ النتائج التي توصّلتُ إليها من خلال هذا البحث.

وسأعتمد في هذا البحث على **المنهج التّداولي**، وهو منهج حديث يُعدُّ وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات، بشكل يمنحه الثراء على مستوى الإجراء والّنتيجة، باعتباره يدرس الظّواهر اللغويّة في مجال استعمالها، فهو المنهج المثالي لدراسة الحجاج.

مدخل:

إنَّ فكرة الحجاج يعتمدها المتكلّم للتّأثير على المتلقّي بغية إقناعه أو تغير معتقّده أو سلوكه. فالحجاج من النّظريات اللسانية الحديثة، وبما أنَّ الهدف منه (الحجاج) إقناع المتلقّي لذا أُستخُدم وسائل وتقنيات تُعينه على ذلك، وقد اكتسب الخطاب الحجاجي اهتمام اللغويين والباحثين لانفتاحه وتنوع مجالاته، فقد استعمله رجال التّربية، ورجال القضاء، والدين، وعلماء اللغة، والفلسفة، ولكلٍّ وسائله وتقنياته المحدّدة، ومن هنا استطاعت التّداولية أنْ يكون لها نصيب من هذه النّظريّة باعتبارها تدرس الاستعمال الفعلي والمنجز في اللغة.

فما هي البنية؟ وما هو الحجاج؟ وما المقصود بالتّداوليّة؟

تلك المصطلحات المهمّة التي تخصُّ البحث، سنشرع في شرحها قبل الولوج لموضوع البحث.

1- البنية:

البنية في اللغة: من الفعل الثّلاثي (بَنَى) أي شيّدَ، وجاء في لسان العرب البِنية والبُنية: ما بنيتُه وهو من البِنى والبُنى بالفتح والضّم وأنشد الفارسيّ عن أبي الحسن، (للشاعر عبد الله بن شبرمة الضبي):

أُولئك قومٌ، إنْ بَنَوا أحسنوا البُنا،   وإنْ عاهَدوا أَوفُوا، وإنْ عَقَدوا شَدّووا

ويُروى أحسنوا البِنى... البِنية الهيئة التي بُنُيَ عليها... فلان صحيح البِنية أي الفطرة. (لسان العرب لابن منظور، 510/1) ويقول ابن فارس: الباء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو بناء الشّيء بضمّ بعضه إلى بعض." مقاييس اللغة لابن فارس،112، 2008) ونستطيع أنْ نقول أنّ لفظة البنية تعدَّدت دلالاتها ومرادفاتها مثل: النّظام، التّركيب، الهيكلة، الشّكل، وقال أحدهم أنَّ كلمة البنية معناها البناء والتّشييد.

فالبنية: شيء منظّم له صورته الخاصّة، وفي النّحو العربي نقول بنية الكلمة؛ أي ما تتركّب منه أحرف.

أمَّا مفهوم البنية اصطلاحاً: فقد أطلق اللغويون العرب القدامى لفظة (بنية) على الهيكل أو الأركان أو الأساسات الثَّابتة للشّيء، الهيكل: كما في بنية الكلمة، ونقول أيضاً التّركيب، والأركان: كما في أركان الإسلام الخمسة، ونقول الأساسات الثّابتة كما في المبني والمعرب؛ فالمبني: هو مالم تتغير حركة إعراب اللفظة بتغيير العوامل الدّاخلة عليها أي الأساس الثّابت، والبنية عند دي سوسير" هي نسق من العلاقات الداخلية التي تمنح العناصر قيمتها ومعناها، حيثُ لا تكون للعناصر قيمة جوهرية بحد ذاتها، بل تتجدّد بعلاقاتها مع العناصر الأخرى ضمن النظام الكلّي." (مبادئ اللسانيات، أحمد قدورة، 2002، 21)

2- الحجاج:

الحجاج في اللغة: من حجج (ح ج ج) من الصّحيح المضعّف، وذكر ابن منظور أنَّ " الحجّ: القصد، حجَّ إلينا أي قدم... وقِيل: الحجّة ما دُوفع به الخصم." (لسان العرب،3 /54) ويقول الأزهري: " الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر وعند الخصومة، قال بعضهم: معناه: لجّ فغلب من لاجّه بحججه؛ أي غَلبْته بالحجج التي أدْلَيْتَ بها" تهذيب اللغة، للجوهري، 390/2) والحُجّةُ الدليل والبرهان. (لسان العرب، 3/ 54) ومن خلال ما ذكره الأزهري وابن منظور للمعنى اللغوي لـ (الحجاج) نجد أنَّ كلَّ المعاني تكشف ما تتضمَّنه الكلمة من دلالات ومعاني، وتُشير إلى الخصومة حول أمر ما بين طرفين، وتكشف الكلمة عن (الجدل) والتي هي في حقيقة الأمر مرادفة للحجاج كما ذكر ابن منظور، حيث قال: أنَّ "الجدل: مقابلة الحجّة بالحجّة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، المراد به في الحديث الجَدَل على الباطل وطلب المغالبة به لإظهار الحقّ فإنَّ ذلك محمود لقوله عزَّ وجلَّ:﴿ ***وَجَادِلْهُم بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ***﴾ (من سورة النحل، من آية 12)"(لسان العرب لابن منظور 2/ 212) ويُقال: جادلتُ الرّجل فجدلته جَدلاً أي غلبتُه. وفي قوله تعالى: ﴿***أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ***﴾ (من سورة البقرة، آية 25) وحاجَّ: أي جادلَ وخاصمَ والمحاجّة: المخاصمة والمغالبة (التفسير الميسّر) فالجدل والحجاج فعلاً مترادفان.

نجدُ ممّا سبقَ أنَّ الحجاج حسب معناه اللغوي أو المعجمي هو في حقيقة الأمر خصومة بين طرفين بواسطة مجموعة من الحجج والبراهين والأدّلة، يُقصد كلاهما من خلال الظّفر والغلبة على الآخر. وباختصار؛ الحجاج تقديم مجموعة من الحجج والأدّلة التي تخدم النّتيجة المقصودة والغاية المتوخّاة.

أمَّا الحجاج اصطلاحا: فـ " هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب " (اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، 2006، 16) وذكر أيضاً أنَّ الحجاج مؤسّس على بنية الأقوال اللغويّة، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، والحجاج يفرض على المتلقّي نمطاً معيّناً من النّتائج يستخدمه كي يُقنع المتلقي.

وجاء في موضع آخر؛ أنَّ الحجاج عبارة عن فعل تكلّمي لغوي مركّب أو مؤلّف من أفعال تكلّميّه فرعيّة، ويوجّه إلى إثبات أو إبطال دعوى معيّنة. (اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، 2006، 16)

إذاً نجد أنَّ الحجاج بين العلماء يدور حول مفاهيم معيّنة وهي الدّليل، البرهان، الإفهام، الجدل- كما ذكرت سابقا- أي التّخاصم بالأدلّة، والبراهين والحجج بين المرسل والمتلقّي. ونرى من كلّ ما سبق أنَّ المعنى اللغوي لا يختلف نهائيّاً عن المعنى الاصطلاحي وأنَّ المعنى الاصطلاحي منبثقاً من المعنى اللغوي.

3- التّداولية:

التّداولية بشكلٍ مبسّط هي: منهج يدرس اللغة أثناء الاستخدام؛ مع مراعاة مقتضى الحال وحال المرسل وحال المستقبل والظّروف التي أحاطت بالنّص. ولأنّ اللغة تعدُّ أداة للتّواصل، فهي أيضاً أداة تفسير وتوضيح، وبالمتفق عليه هي ظاهرة طبيعيّة يستخدمها النّاس لتحقيق غاياتهم وأهدافهم اليوميّة.

وقبل الخوض في هذه النّظريّة يجبُ أنْ نتعرّفَ على مفهومها لغةً:

التّداولية في اللغة: يقع مصطلح التّداولية من الجذر اللغوي من الفعل الثلاثي (دِوَلَ) وتكاد تتفق معظم المعاجم العربية على تعريف (دول) قال ابن فارس:" الدال والواو واللام أصلان: أحدهما: يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر: يدلُّ على

ضعفٍ واسترخاء." (مقاييس اللغة لابن فارس، 305) ويقول آخر: دالت له الدَّولة، ودالت الأيام بكذا... والله يداول الأيام بين النَّاس مرّة لهم ومرّة عليهم، والدَّهر دُول وعُقَبٌ، وتداولوا الشّيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه أي أنَّه يراوح بينهم، ودالت الأيام أي دارت ورجعت، وتداولته الأيادي أي أخذته هذه مرّة والأخرى مرّة، ودال الثوب أي بلىَ، دُولاً جمع دُولة بالضم، وهو ما يُتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.(أساس البلاغة للزمخشري 444/4) قال تعالى: ﴿***كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ***﴾ (من سورة الحشر من آية 7)، والنّاظر في معاني لفظ (دول) يجدُها تدور حول معنى التّبادل والمراوحة والرّجوع والتّحول والتّعاقب والقدم. وقد تناول البُحّاث التّداولية كدرس جديد وأجروا عليها بحوثاً كثيرة، وبتعددها تعددت تعاريفها، ممّا جعلها تقع في مفترق طرق الأبحاث اللسانيّة والفلسفيّة والتواصليّة عامّة، لا حدوداً واضحة لها فتداخلت تلك التعاريف في المعارف الثقافيّة والعلوم الإنسانية المختلفة.

أمّا التَّداولية في الاصطلاح: فلم يختلف العلماء على تعريفها في الاصطلاح، " فهي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلّم" التداولية جورج بول،2010، 19) وغالباً ما يُشار إليها على أنّها دراسة استعمال اللغة في سياق معين، والتّداولية تختصُّ بتقصّي كيفية تفاعل البُنى والمكوّنات اللغويّة مع عوامل السِّياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السَّامع على محو الخلل الذي قد يحصل أحياناً بين اللفظ والمعنى الحرفيّ له، وبين المعنى الذي يقصده المتحدّث.

ولم تختلف التعاريف التي ذكرها العلماء عن كون التّداولية؛ علم يتطرق إلى دراسة اللغة أثناء التكلّم بها؛ كونها أداة تواصل وليس دراسة مبناها الداخلي أو الخارجي لتراكيبها ونصوصها الخطابيّة فقط، وإنّما أيضاً لدراسة فاعل النّص ومدى تأثيره على المتلقي، والمقاصد المرجوّة، وما يعتريه من أحوال مقاميّة وحاليّة؛ بهدف الوقوف على المعنى الحقيقي للدِّلالات التَّراكيبّة اللغويّة، وقد اهتمَّ اللسانيون العرب بدراسة مفهوم مصطلح التداولية حيث ذكر مسعود صحراوي "بأنَّ التَّداوليّة هي منهج لساني يدرس علاقة النّشاط اللّساني اللغويّ بمستعمليه وطرق استخدام العلامات اللغويّة وما يكتنف النّشاط من طبقات المقام ومقتضى الحال والسّياقات المختلفة التي ينجز من ضمنها الخطاب أو الحوار كرسالة اتصال واضحة أو فاشلة بحسب اللغات الطّبيعية" (التداولية عند العرب، لمسعود صحراوي، 17) ويقول صلاح فضل : " التداوليَّةَ هي الفرعُ العلميّ المتكوّن من مجموعة العلوم اللُّغويَّة التي تختصُّ بتحليلِ عمليَّاتِ الكلامِ بصفةٍ خاصَّةٍ، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التَّواصلِ بشكلٍ عامٍّ" (بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل،10)

وقد كانت التّعريفات التّداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التي ربما تردَّدت في التّعريفات جميعها بشكلٍ أو بآخر، وتكاد تتفق على أنَّ التَّداولية تدرس استعمالَ اللُّغةِ في السِّياقِ، وتتوقفُ شتّى مظاهر التَّأويل اللغويّة على السِّياقِ.

نستطيع ممّا سبق أنْ نستنبط أنَّ التَّداولية تتزعّم المنهج الوظيفي، على الرّغم من أنَّ الدّرس التّداولي جاء متأخراً عن البنيوية إلاّ أنَّه – المنهج الوظيفي – شكَّل منعطفاً تاريخياً مهمَّاً في اللسانيات من حيث أنّها ظاهرة تواصليّة قاصدة إلى إنجاز وظائف اجتماعيّة محدّدة تتصدّر المشهد اللساني.

وقد ظهرت اللسانيات التَّداوليّة على ساحة العلوم اللغويّة باعتبارها ردَّة فعل على معالجات تشومسكي للغة بوصفها(لغة تجريبيّة)، أو قدرة ذهنيّة قابلة للانفصال عن استعمالها ومستعمليها، والسّبب الآخر هو التّوصّل إلى قناعة مفادها أنَّ المعرفة المتقدّمة بالنّحو والصّوت والدّلالة لم تستطع التّعامل مع ظواهر معيّنة ذات أهمّيّة بالغة، ويمكن عدّ الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النّظريات اللسانيّة من جهة ودراسة الاتصال اللغويّ من جهة أخرى سبباً آخر في الاهتمام بالتّداوليّة، ومن الأسباب الأخرى أيضاً اتّجاه معظم التّغيرات اللسانيّة لتكون داخليّة.(أبعاد اللسانيات التداولية في تعليم اللغة، يوسف صبح،2018).

المبحث الأوَّل: الرَّوابط الحجاجيّة

يعتمدُ الحجاج على مرسل و مرسل إليه، حيث أَنَّ الدّور في هذه العمليّة يعود إلى المرسل نظراً لما يبذله من جهود ذهنيّة للحصول على حجج مقنعة، وعلى المرسل أنْ يكون بارعاً في اختياره لهذه الحجج نظراً لتفاوتها في درجات الاقناع، ويتحقّق الحجاج في اللغة عن طريق مؤشّرات لغويّة، حيث تكون في الأقوال من خلال النّص، أو الخطاب وهذه العلامات أو المؤشّرات هي روابط لغويّة فـ" إذا كان القول أو الخطاب معلماً؛ أي مشتملاً على بعض الرّوابط تكون متضمّنة لمجموعة من الإشارات والتّعليم التي تتعلّق بالطّريقة التي يتمّ بها توجيه القول أو الخطاب فهذه الرّوابط هي التي تحدّد الاتجاه الحجاجي من ألفاظ ومؤشّرات لغويّة بالإضافة

إلى السّياق اللغوي، وقد فرّق (ديكرو) Ducrot بين نوعين من المؤشرات: الرّوابط الحجاجيّة، والعوامل الحجاجيّة" (الحجاج في اللغة، أبوبكر العزاوي،5)

الرَّوابط الحجاجيّة:

تعدُّ الرّوابط من الآليات الحجاجيّة اللغويّة المهمّة التي يرتكز عليها التّحليل الحجاجي التّداولي للخطاب، ومدى مساهمة هذه الرّوابط في تماسك وانسجام الخطاب وتحقيق الغاية التّأثيريّة الإقناعيّة، لأنَّ الحجاج أساس المعنى وأساس تأويل الخطاب. كما تعدُّ الرّوابط الحجاجيّة من أهمِ مرتكزات النَّظريّة اللسانيّة، وبها تتوجه دفّة الحجاج.

وتتمركز هذه الرّوابط أساساً في أبنية اللغة، وهي على أشكال مختلفة، ويتحدّد مفهوم الرّوابط الحجاجيّة بأنَّها: " مكوّنات لغويّة تداوليّة تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ضمن استراتيجيّة حجاجيّة واحدة بحيث تسمح بالرّبط بين المتغيرات الحجاجيّة (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج) ومن بين هذه الرّوابط: " الواو، الفاء، حتَّى، بل، لكن، لا سيما، إذن، بما أنّ، إذ، ربما، تقريباً...إلخ" (دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصّي، د. ابتسام صفيور،2)

وإنَّ القول لا يصلح لأنْ يكون حجّة لأي نتيجة أو تلك إلاَّ بموجب الوجهة الحجاجيّة المسجّلة فيه، وأصل هذه الوجهة هو المكوّنات اللغويّة المختلفة للجملة التي تحدّد معناها وتضيّقه، أو توسع من احتمالات الحجاجيّة، وهذه المكوّنات اللغويّة هي ما يُعرف أو يسمّى بـ " الرّوابط والعوامل الحجاجيّة" التي تحدّد طرائق الرّبط بين النّتيجة وحجّتها. (نظرية الحجاج، شكري المبخوت،375)

1- أقسام الرّوابط الحجاجيّة: تنقسم الرّوابط الحجاجيّة على انماط عدّة مثل:

أ- **الرّوابط المدرجة للحجج،** وهناك من أسماها **(روابط التّعليل الحجاجي)** مثل: لأنّ، اللام، وهي من أدوات التي تدخل على الفعل المضارع، ولهذا أيضاً. وتكون وظيفة "لأنّ" تبرير الفعل ودعمه وتعليله، فيربط بين النّتيجة والحجّة، ويأتي الرّابط "لأنَّ" بعد إلقاء النّتيجة، وتجيء الحجّة بعده لتعلّل النّتيجة.

ب-الرّوابط المدرجة للنّتائج مثل: لهذا، إذن، بالتالي.

ج- روابط التّعارض الحجاجي مثل: لكنّ، بل، مع ذلك. ووظيفة "لكنّ" إنشاء تعارض حجاجي بين ما يتقدّمها وما يتلوها وتربط بين حجّتين.

د- روابط التّساوق الحجاجي مثل: حتّى، ولا سيما، ويكون دورها في الرّبط بين الحجج التي تنتمي الى فئة حجاجيّة واحدة، فتخدم نتيجة واحدة، وتكون الحجّة التي ترد بعد "حتّى" هي الأقوى. (أهم نظريات الحجاج، 14)

وهناك من صنّف الرّابط الحجاجيّة بمعايير مختلفة فقسّمها كالآتي:

أ- روابط التّعارض الحجاجي. وتشمل: لكن، بل.

ب- روابط التّعليل الحجاجي. وتشمل: لام التّعليل.

ت -روابط العطف الحجاجي. وتشمل: الواو، الفاء. (الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد العسكري،36)

السّلالم الحجاجيّة:

ويعّرفها أبو بكر العزّاوي بأنَّها: "علاقة ترتيبيّة للحجج" (المظاهر الحجاجية في الخطاب الإعلامي المرئي، 53) وعرّف طه عبد الرّحمن السلّم الحجاجي بأنَّه: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلامة ترتيبيّة."(اللسان والميزان أو التكوير،277) ونستطيع توضيح ذلك بالتّخطيط التّالي:

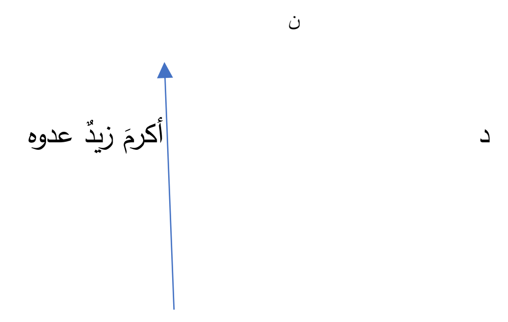

ج أكرمَ زيدٌ صديقه

ب أكرمَ زيدٌ أخاه

ن = النّتيجة: زيد من أنبل الناس خُلقاً

يُلاحظ أنَّ الجمل د، ج، ب، تتضمّن حجج وأدلّة تخدم النّتيجة، ن. فنجد أنَّ الحجج التي في د، ج، ب، والتي تخدم النتيجة (ن) تستلزم نتيجة واحدة هي: (زيد من أنبل النّاس خلقاً)، لذلك تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة، وكذلك إلى نفس السلّم الحجاجي، مرتبطة بهذه النّتيجة، وتجمعها علاقة ترتيبيّة ضمن سلم حجاجي واحد، وهو فئة حجاجيّة موجّهة، (الحجاج في اللغة، لأبي بكر العزاوي، 59)

ويقوم السّلم الحجاجي حسب قول العلماء على شرطين:

أ- إنَّ كلّ قول يرد في درجة ما من السّلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنّسبة إلى النّتيجة، ويلزم جميع الأقوال الأخرى التي أقل منه في السّلّم.

ب- إذا كان القول (ب) يؤدّي إلى النّتيجة (ن) فهذا يستلزم أنَّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدّي إلى النّتيجة نفسها والعكس غير صحيح، وتعتمد نظريّة السّلالم الحجاجيّة على وجود " التّلازم في عمل المحادّة بين القول (ق) ونتيجة (ن) ومعنى التّلازم هنا هو: أنَّ الحجّة لا تكون حجّة بالنّسبة للمتكلّم إلاَّ بإضافتها إلى النّتيجة، قد يُصرّح بها وقد تبقى ضمنيّة. (نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت،363)

ويرتبط بمفهوم السّلم الحجاجي، مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي، ويعنى هذه المفهوم: " أنَّه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإنَّ القيمة الحجاجيّة لهذا القول يتمّ تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحاً أو مضمراً، وتقوم الرّوابط الحجاجيّة بتحديد الاتجاه الحجاجي للسّلم.

قوانين السّلّم الحجاجي:

هناك قوانين تحكم السّلم الحجاجي وهي ثلاثة:

1- قانون الخفض:

مضمون هذا القانون أنَّه " إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"(اللسان والميزان،277) وهذا يعني أنَّ الخفض الذي ينتج عن النّفي لا يقع في السّلم الحجاجي. أمَّا العزاوي فيقول: " يوضّح قانون الخفض الفكرة التي ترى أنَّ النّفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: فعندما نستعمل جملاً من قبيل:

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التّأويلات التي ترى أنَّ البرد قارس وشديد (المثال الثاني): أو أنَّ الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني) وسيؤول القول الأوَّل على الشكل التالي:

- إذا لم يكن الجو بارداً، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

- لم يحضر إلَّا القليل منهم إلى الحفل"(اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي، 24)

2- قانون تبديل السلّم:

وهناك من يسمّيه قانون النّفي، أي أنَّه " إذا كان القول دليلاً على مدلول معين؛ فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"(اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي، 24) هذا يعني أنَّه إذا تمّ نفي إحدى الحجج أدَّى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، ف "إذا كان القول(أ) مستخدماً من قبل المتكلّم ليخدم نتيجة معينة، فإنَّ نفيه (أي أ) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة فإذا كان(أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحدّدة بواسطة (لا-ن) فمثلاً: - زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

- زيد ليس مجتهداً، إنَّه لم ينجح في الامتحان.

فقبول الحجاج في المثال الأوَّل يستلزم أنْ نقبل الحجاج في المثال الثّاني. (اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي 22) وحجة النّفي هي نفسها حجة الرّأي المخالف.

3- **<u>قانون القلب:</u>** ويفيد هذا القانون أنَّه "إذا كان أحد القوليين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن، فإنَّ نقيض الثّاني أقوى من الأوَّل في التّدليل على نقيض المدلول"(اللسان والميزان، طه عبد الرحمن278) ويرتبط هذا القانون بالنّفي حيث يكون " السّلم الحجاجي للأقوال المنفيّة عكس الأقوال الإثباتيّة" (اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي،22)

وسنشرع في المبحث التالي في تطبيق الرّوابط وتحليلها حسب السّلم الحجاجي، كما ذكره أبو بكر العزاوي، وستركز الدّراسة على مدى تحقق الحجاج في شعر مصطفى بن زكري.

المبحث الثاني: (الرّوابط الحجاجيّة في شعر ابن زكري).

رأينا ممّا سبق أنَّ الروابط هي جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستعملها الباحث ليربط بين مفاصل الكلام ويصل بين أجزائه فتتأسس عندها العلاقة الحجاجيّة، وسيتبيّن لنا ذلك جليّاً من خلال تطبيق هذا الأمر على ديوان شاعرنا مصطفى بن زكري، وسأكتفي بالرّوابط التي وردت في الديوان.

1- الرَّابط الحجاجي (إنَّ – إنْ)

ترتبط (إنَّ)و(إنْ) الثّقيلة والمخفّفة الحجاجيّة بالتّأكيد والإثبات، وهذا ما يجعل البنية الشّعرية أقوى حجاجيّاً وأكثر إقناعاً لأنَّ (إن) في الحجاج هي من الأدوات الفعّالة حجاجيّاً، وكون التّأكيد على الكلام وإثباته يزيل ما حوله من شكّ وارتياب وإبهام وهو ما يترك أثراً في نفس المتلقّي، ويحثّه على تقبّله والاقتناع به. و(إنَّ) من الرّوابط التي تُسهم في ربط السّبب بالنّتيجة عبر تقويّة ودعم النّتيجة وتعليلها، يقول الجرجاني: " أنَّ المتكلّم يلجأ إلى استعمال (إنَّ) حين يريد أن يبيّن أم ما بعدها يصحّ به ما قبله ويحتجّ له ويبيّن وجه الفائدة فيه." (دلائل الإعجاز 211)

ويقول ابن زكري في قصيدة بعنوان عظة النّفس، يخاطب فيها الشّاعر النّفس البشريّة، ونلاحظ تأثره الواضح بالقرآن الكريم واقتباسه منه، ليضفي على شعره قوّة وسلطة وشيئاً من القداسة، سعياً منه لإقناع المتلقّي وكسب ثقة المستمعين فيقول: (الديوان: 151)

واتق الله حيثما كنت فاللّـــــ   ـه رقيب إنْ غابت الرقباء

عالم الغيب والشهادة هل تغر   ب عن علم ربك الأشياء

ارتبطت الجملة (غابت الرّقباء) بالجملة التي قبلها بالرّابط (إن) الذي يدلّ على التّوكيد المفيد لتعليل الأمر (اتّق الله) فمن شأن (إن) إذا جاءت على هذا الوجه أن تفيد التعليل وربط مضمون جملتها بربط الجملة التي قبلها، ويمكن تمثيل ذلك في التخطيط الآتي:

اتق الله حيثما كنت

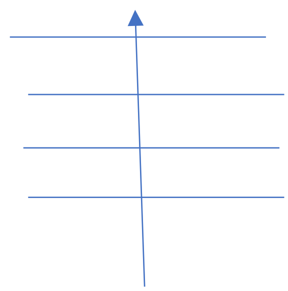

تقوى الله

إن

الله رقيب إنْ غابت الرقباء

غابت الرقباء

يريد الشّاعر بخطابه هذا توصيل رسالة إلى كلّ إنسان مفادها التّقوى أي اتّباع أوامر الله واجتناب نواهيه وخشيته في السّر والعلن، والنّتيجة: اتّق الله حيثما كنت وحجج ذلك، الحجّة الأولى، (الله رقيب إنْ غابت الرقباء)، والحجّة الثّانية (عالم الغيب والشّهادة)، والحجّة الثّالثة، (لا يغرب عن علم ربِّك الأشياء) وكلّ هذه الحجج تخدم النّتيجة، فدرجة الحجاج ازدادت قوّة من مجرّد الإخبار إلى تأكيد الجملة وتحقّقَ ذلك بـ (أن).

2- الرّابط الحجاجي (أنَّما)

(إنَّما) أداة استثناء، وهي مركّبة من (إن) و (ما) وبعد دخول (ما) على إنَّ التّوكيديّة تغيّرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و" قد تغيّرت دلالتها على التّوكيد من كونه توكيداً عادياً إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصراً" (في النحو العربي، لمهدي المخزومي، 238)

وتأتي إنّما لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم، واستعمال الاستثناء بـ(إنّما) لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحّته، ولكنْ لمن يعلمه ويقرّ به إلّا أنّه يريد أنْ تنبهّه"(دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني، 330).

(كأنَّ) حرف تشبيه وتوكيد، مكفوفة عن العمل، مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب، وتزاد (ما) الكافّة بعد (كأن) فتكفّها، وتهيّئها للدخول على الجملة الفعليّة، وتوسّع دائرة التّشبيه بها (أنْ) كانت مقصورة على الجمل الأسمية، وذلك كقوله تعالى: ﴿***كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ***﴾ (من سورة الأنفال، من آية 6)

ففي قصيدة للشَّاعر يمدح فيها المهدي السّنوسي، ويمجّد خصائله، فيقول:(الديوان، 137)

هجر المنام وطيبه فكأنَّما   جعل الليالي للعبادة موعداً

يصف الشاعر أنَّ هناك شخصاً ترك النوم ومتعته؛ لأنَّ عنده الليل وقت مقدس للعبادة، وهذا يدلّ على الورع والزهد.

وكأنّما: لها قوّة إقناعية، فهي ليست للتشبيه فقط، وإنَّما لربط السبب بالنتيجة، وتفيد أيضا القصر والتوكيد، فقد قصر السبب أو الفعل على الدافع وهو العبادة لا للهو والسهر، هنا الوجهة الحجاجيّة تحدّدت بالبنية اللغويّة فهي تبرز فيها، وكأنَّما لها دور فعّال في تحقيق الوظيفة الحجاجيّة، وتوجيهها وجه إيجابيّة. ففائد القصر هنا أعطى الخطاب قوة حجاجية بارزة، ويمكن تمثيل السّلم الحجاجي بالمخطّط الاتي:

يسعى إلى نيل المُنى

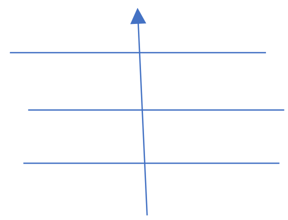

هجر المنام وطيبه (حجّة)

كأنّما

جعل الليالي للعبادة موعدا(نتيجة)

الرّابط الحجاجي (فكأنّما) أقام علاقة حجاجيّة بين الحجّة وهي ترك الشخص النوم والراحة وذلك لإثبات صدق الزهد والعبادة، والنتيجة، وهذا دليل على الإخلاص في العبادة.

3- الرّابط الحجاجي (بل):

وهي أداة ربط بين قولين، ومعناها" الإضراب عن الأوّل والإثبات للثاني" (المقتضب للمبرد، 2010، 5) وذكر الرّماني: "هي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الأوّل والإيجاب للثّاني." (تحف العقول، للحراني، 2010، 484) وهي من أدوات الرّبط التي تستعمل لإبطال والحجاج مثل (لكن)، ووظيفتها سوق الحجج أو المدرجة للحجج المتعارضة أو المتعاندة وتكمن حجاجيته "في أنَّ المرسل يرتب بها الحجج في السّلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأَنَّ بعضها منفي وبعضها مثبت؛ لأنَّ (بل) أساساً حرف إضراب، (استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي بن ظافر الشهري،2004، 472) لقد"ميز ديكرو وأنسكومبر، في دراساتهما العديدة ل لأداة "Mais" بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي .. وإذا كانت اللغة الفرنسيّة تشمل على أداة، واحدة تستخدم للحجاج والإبطال، فأنَّ لغات أخرى تتوفر على أداتين: أداة للحجاج ... (منها) العربية (بل، لكن)" (اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي،57) وللرّابط (بل) حالان:

1- أنْ يقع بعده مفرد.

2- أنْ يقع بعده جملة ما، فإن وقع بعده مفرد دخله حالان:

أ- إنْ تقدّمه أمر أو إيجاب نحو: (اضرب زيداً بل عمرو) فإنَّه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده.

ب- إنْ تقدّمه نفي أو نهي نحو: (ما قام زيد بل عمرو) و (لا تضرب زيداً بل عمراً) فإنَّه يكون لتقرير حكم الأوَّل وجعل ضدّه لما بعده أي إثبات الثّاني ونفي الأوَّل.

أمَّا إذا وقع بعد (بل) جملة فيكون معنى الإضراب:

أ- إمَّا الإبطال نحو: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ، بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ﴾ من سورة المؤمنون، من آية 70)

ب- وأمَّا الانتقال من غرض إلى غرض، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (من سورة الأعلى، الآيات: 14، 5، 16)

والذي يهمّنا في بحثنا هذا الاستعمال الثّاني (ب) وهو الانتقال من غرض إلى غرض كما في قول شاعرنا مصطفى بن زكري (الديوان 139):

لَمْ يشتغلْ بعلوٍ عن فرائضِه   بَلْ أتعبن كاتب اليمنى نوافله

يتحدّث الشاعر في هذه القصيدة الذي ينتمي إليها البيت، عن شمائل الشّيخ حمزة ظافر المدني، ويمدحه بخصال عدّة، وقد انتقل من جملة إلى أخرى أهمّ من الأولى من دون إبطالها، و ذلك باستخدامه للرابط (بل) الواردة في البيت من النّمط الحجاجي الذي أفاد التّوكيد؛ فقد توسّطت بين حجّتين الأولى تقدّمتها(لم)، في قوله: (لم يشتغلْ بعلوٍ عن فرائضِه)، في حين جاءت الحجّة الثانية مثبتة (أتعبن كاتب اليمنى نوافله)، وبذلك يكون الرّابط قد أقام علاقة حجاجيّة بين نفي احتمال (أنْ يكون الشّيخ انشغل بالمناصب عن الفرائض) وبيت اثبات حقيقة الأمر(أنَّه أكثر من النّوافل) المنظور الظّاهر (لم ينشغلْ بعلو) وإنَّما هي من منظور حجاجي المؤكّد بنتيجة مضادّة (أتعب كاتب اليمنى).

إبطال انشغال الشّيخ بالعلو والمناصب الدّنيوية

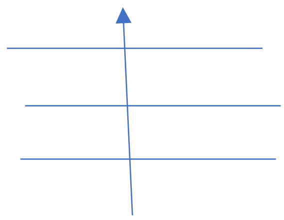

أتعبن كاتب اليمنى نوافله

بَلْ

لم ينشغلْ بعلوٍ عن فرائضه

وبالتّالي فإنَّ خاصّية الرّابط (بلْ) تكمن في الانتقال من درجة دَنِيَا في الحجاج إلى درجة عليا.

3- الرابط الحجاجي (حتَّى)

حتَّى حرف له "معانٍ متعدّدة أهمّها الغاية، ويمكن أنْ تكون حرف جر بمعنى إلى، أو حرف عطف،

أو حرف ابتداء، أو حرف ينصب الفعل بمعنى أنْ الناصبة للتعليل أو للغاية." (لسان العرب، لابن منظور، ج28/4) والمعنى الأخير هو المعني في هذه الدراسة، فحتَّى من الأدوات التي تحمل قيمة حجاجية كبيرة وخاصّة في النصوص الأدبية، لأنَّها ليست مجرّد أداة غاية أو ظرف، بل تؤدّي وظيفة تداولية مرتبطة بتوجيه المعنى وتقوية الحجّة، وتعدُّ أيضا أداة ربط تداولية تربط المقدّمات بالنتائج، وتضفي على النص قوّة من خلال التدرّج/ والتوجيه نحو الغاية. يمكن تمثيل ذلك في قول الشاعر: (الديوان: 1996، ص61)

وانتظرنا طلائع الحسن حتَّى   جاءنا ثغر فجرها بابتسام

أدَّت (حتَّى) في هذا البيت وظيفة ظرفية زمنية، وعملت أيضاً كرابط حجاجي؛ فقد برزت النتيجة الطبيعية لعملية الانتظار الطويل، فجاءت المقدّمة؛ شدّة الترقب، وأتت النتيجة بتحقّق الجمال، والأداة (حتَّى) ربطت بين هذين الجزأين، وكانت النتيجة تراتبية، فالحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون الأقوى وتبرز عظمة ما بعدها، لذلك القول المشتمل على الأداة (حتَّى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي، فكانت القيمة الحجاجية بتأكيد أنَّ الصبر والانتظار يؤدّيان ثمار محقّقة. ويمكن تمثيلها بالسلم الحجاجي الآتي:

الصبر والانتظار يؤدّيان نتائج مرضية

الترقب
حتّى
تحقق الجمال

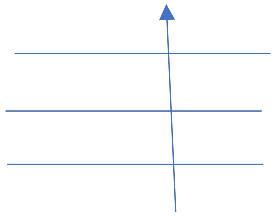

4- الرابط الحجاجي (لكن):

(لكنَّ) من الحروف المشبّه بالفعل، من أخوات (إنَّ) وتفيد معنى الاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهّم ثبوته أو نفيه. (شرح قطر الندى، لابن هشام الأنصاري، 1983، 148) ووظيفة "لكنّ" هي إنشاء تعارض حجاجي بين ما يتقدّمها وما يتلوها، وتربط بين قولين متفاوتين في القوّة وتفيد الاستدراك، فهي من مهامها سوق الحجج أو الرّبط بين الحجج المتعارضة، ويؤتى بها لإزالة الوهم وإبعاده، فالحجة التي بعد (لكن) تكون أقوى من الدليل الذي يأتي بعده وتكون له الغلبة بحيث يتمكّن من توجيه القول بمجمله فتكون النّتيجة التي تقصدها الحجّة هي نتيجة القول برمّته. فمثلاً؛ يقول مصطفى بن زكري (الديوان 62):

فكساني لما عرّيت من الصبـ   ـر ولكن ثوب الأسا والسقام

الذي نلحظ فيه الرّابط (لكن) قد عمل تعارضاً حجاجياً بين ما تقدّم وما تأخّر عنه؛ فالقسم الأوّل الذي سبق الرّابط قد تضمّن حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة (ن) من قبل الشّاعر مصطفى بن زكري حيث قال أنَّ (الكساء هنا ليس لستر الجسم) أمَّا القسم الثّاني الذي جاء بعد الرّابط، فقد تضمّن حجّة تخدم نتيجة مضادّة للنّتيجة السّابقة، أي تخدم نتيجة (أنَّ الثّوب الذي لبسه بعد أنْ فقد الصّبر هو الأسى والسّقام، وهو متمثّل في الأسى والألم) فالذي أحدثه الرّابط (لكن) هو استدراك ورفع ما يتوهّم ثبوته.

فالرّابط (لكن) الحجاجي يعمل على قلب الفرضيّة، فما يسبق الرّابط حجّة (أ) (كساني الصّبر) ظاهرة تخدم نتيجة (ضمنية) متوقّعة (ن) وما بعد الرّابط يتضمّن حجّة (ب) (ثوب الأسى والسّقام) ظاهرة تخدم نتيجة ضمنيّة مضادّة (لا – ن) للنّتيجة السّابقة (ن) وهنا يكون الرّابط الحجاجي (لكن) قام بالرّبط بين قولين متنافيين من جانب، وإعطاء الحجة الثانية قوّة وعمقا شعوريا؛ لأنّها تضيف عنصر المفاجأة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجّة الأولى التي سبقت الرّابط.

القول الأوّل: كساني لما عرّيت من الصّبر.

القول الثّاني: ثوب الأسى والسّقام.

ويمكن تمثيلها بالسّلم الحجاجي الآتي:

أجمل كساء هو ثوب الصبر

كساني الصبر والتحمل
لكن
الصبر لم يحقق سوى الأسى

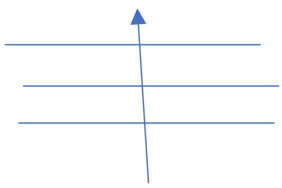

والاستدراك بـ (لكن) منح الحجّة التي جاءت بعده قوّة أكبر؛ فجاءت هذه الحجّة في الدّرجة العليا من السّلم.

ويقول الشاعر في موضع آخر

هذه كعبة اللطائف لكن   طوافي بها من الإيمان

أداة الربط (لكن) على الرغم من وظيفتها النحوية أنّها حرف عطف أو تستخدم للاستدراك أو للاستثناء. أو تضاد، إلّا أن الشاعر هنا استخدمها كرابط حجاجي يوضّح التباين بين التوقّع والواقع.

التوقّع صورة مألوفة على الكعبة المخصّصة للعبادة والقداسة، ثمَّ استخدم الأداة (لكن) للإشارة إلى واقع مختلف أو أنَّ هناك قيمة إضافية؛ وهو أنَّ موضع محبته هو مكان تتجه إليه الأرواح كما تتجه إلى الكعبة لقدستها وجمالها، أي أنَّ العبادة والإيمان متواصلان رغم اختلاف المكان والزمان عن الكعبة، فهنا عملت (لكن) لتقوية الحجة لأنَّها ربطت بين التوقّع والواقع.

ويمكن تمثيل ذلك بالسلم الحجاجي التالي:

طوافي بها من الإيمان

هذه كعبة اللطائف

لكن

طوافي هو الأهم

1- الرابط الحجاجي (لو)

لو هي في الأصل نحويا أداة شرط، حرف امتناع لامتناع، امتناع الأوّل لامتناع الثاني، (جنى الداني لحروف المعاني، للمرادي، 1992، ص273) ولكنّها في البنية الحجاجية لا تُستخدم فقط للشرط، بل تؤدّي وظيفة تداولية، فهي ترتبط بالافتراض والاحتمال، وفي نتيجة لم تتحقق، وعادة أقوى حجة تكون بالتضاد، فمثلاً (لو درست لنجحت) فعلاقة بين الدراسة والنجاح علاقة سببية قوية.

وبالرجوع لديوان مصطفى بن زكري وجدنا أنَّ الشاعر لم يعتمد كثيرا على هذا الرابط الحجاجي، فلم يأتي عليه سوى أربع مرات تقريبا، ومن ذلك قوله: (الديوان، ص138)

فليت شعري وثوب الصبر منخرق ماضرّه لو بمعروف يعامله

فلو هنا ليست شرطاً حقيقياً يُنتظر تحققه، وإنَّما جاءت لتفترض أو تتمنّى، فالجملة بعد (لو) تمثّل شرط افتراضي غير حقيقي، فأتت لو لتقوية شكوى الشاعر،ثمَّ أتى جواب الشرط ، غير أنَّه لم يمثّل نتيجة شرطية بل صياغة حجاجية، فالدور الحجاجي يكون على النحو التالي:

1) الافتراض الممكن غير محقق، وهو أمر يسير غير مُكلف، فالشاعر في هذا البيت يفترض إمكانية أنْ يُعامل بمعروف، ولكن لم يُعاملن ويطرح ذلك على شكل سؤال.

2) والحجاج ينفي الضرر وإثبان أنَّ الطرف الأخر لم يكن سيتضرر لو فعله، لو حدث من خلال قصد الشاعر، إنْ فعل المعروف فلن يخسر شيئاً.

3) فالحجة؛ لا سبب لترك المعروف.

4) وآليته في ذلك (لو)

5) النتيجة: الأفضل أنْ يُعامل بالمعروف؛ لأنَّها لا تجلب أي ضرر، إظهار الظلم الذي سيلحق بالشاعر بسبب الامتناع عن المعروف.

المعاملة بالمعروف

أن يُعامل بالمعروف

لو

ما ضرّره

ويقول الشاعر في موضع آخر: (الديوان، ص128)

لا برء من لسعة الفراق ولو أتوني بألف راقي

كما ذكرنا سابقاً أنَّ الشاعر لم يستخدم (لو) كأداة شرط كوظيفة نحوية بل جعلها أداة تضخيم وتقوية للحجة، فكان صدر البيت خبر مؤكّد باستحالة الشفاء، فالألم أكبر من لأن يُعالج، ثم أتى عجز البيت بـ(لو) لبناء الحجة، فكانت بمعنى الافتراض الممتنع، حتَّى لو أتوه بألف قوّة من قوى العلاج، لما فاده ذلك.

ويمكن تمثيلها بالسلم الحجاجي التالي:

البرء من لسعة الفراق

لا البرء من لسعة الفراق

لو

(العلاج مضاعف) لا شفاء

الرَّابط الحجاجي (الواو)

هذا الرّابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجيّاً بوصفه رابطاً عاطفياً على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويّتها فضلاً عن التّدرجية أو السّلمية في ترتيب الحجج وعرضها، (الحجاج في كتاب الأمثل، تيزي وزو، 93) وتعدًّ (الواو) من أهمّ الرّوابط الحجاجيّة لأنَّها تجمع بين دورين:

الأوَّل: هو الجمع بين الحجج ووصفها وربط المعاني.

والثّاني: هو تقوية هذه الحجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض وتقوية كلّ منها بالأخرى من أجلّ تحقيق النّتيجة المبتغاة، ونرى ذلك في القصيدة التي يمدح فيها (المهدي السّنوسي) ويقول في مستهلها (الديوان لابن زكري):

يا خير مهديّ وأفضل من هدى — في آخر الزّمن العباد وأرشد

يا خير من يدعو لســـــنة جدّه — وأجلّ من قـرأ الكتاب وأسندا

فالرّابط الحجاجي (الواو) قام بالرّبط والوصل بين الحجج، وعمل أيضاً على ترتيبها بالشّكل الذي يضمن تقوية النّتيجة المطروحة ودعمها، وهي (وأجل من قرأ الكتاب وأسندا) كما عمل على حصول التّرادفيّة في النّتيجة الواحدة، وهذا الرّابط النّسق بين الحجج قد أضفى سلميّة تدرجيّة باتجاه الحجّة الأقوى بشكل عمودي.

ويمكن تمثيل هذه الحجج في التخطيط الآتي:

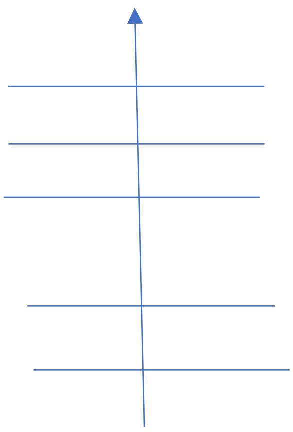

أجلّ من قرأ الكتاب وأسندا

الواو

خير من يدعو لسنّة جده

(محمد صلّى الله عليه وسلّم)

في آخر الزّمن العباد أرشد.

أفضل من هدى.

ونلاحظ أنَّ الشّاعر بالغ في مدح ممدوحه باستخدام أفعل التّفضيل (خير بمعنى أخي، أفضل، أجلّ) وكلّها تدلّ على المبالغة في المدح وتكرار لفظ (يا خير) لتأكيد حجّته فالتّكرار يساعد على التّبليغ والإفهام، ويعين المتكلّم على ترسيخ الرّأي أو الفكرة في الأذهان، وكذلك استعماله لحرف النّداء (الياء) يعدّ توجيها لأنَّه يحفّز المرسل إليه لردّة فعل تجاه المرسل، والنّداء وظيفته الإظهار والإعلام، فكانت النّتيجة، ن: يا خير من هدى. والحجّة الأولى أفضل من هدى، والحجّة الثّانية في آخر الزّمن العباد أرشد، والحجّة الثّالثة خير من يدعو لسنة جدّه، والحجّة الرّابعة أجلّ من يقرأ الكتاب (وهو القرآن الكريم) وأسند. والرّابط الحجاجي الواو كان له وجودا لربط الحجج ودعمها وتدرجها من الأضعف إلى الأقوى.

الخاتمة:

سعينا في هذا البحث إلى لمس بعض الرّوابط الحجاجيّة وإبراز فعاليتها، فتناولتُ الرّوابط الحجاجيّة والسّلم الحجاجي، وبعد أنْ يسَّرَ اللهُ لنا انجاز هذه الدّراسة والنّظر في الحجاج بوصفه منهجاً مؤطراً لتحليل الخطاب عبر بنيته وروابطه، وبعد أنْ انتهينا من الاشتغال في الخطوات الإجرائيّة لهذا المنهج في مقتطفات من شعر ابن زكري، لابدَّ لنا أن نلمَّ شتات البحث ونعرضه بشيءٍ من التّكثيف في النقاط الآتية:

1- إنَّ التّداولية تبحث في مقاصد المتكلّمين، فلا تقتصر الدّراسة على اللغة العادية فقط، بل يمكن تطبيقها كذلك على الخطاب الشّعري.

2- إنَّ الحجاج فن من فنون الإقناع، إذ يُعدُّ أسلوباً تواصليا يعتمد على تقديم الحجج والبراهين من أجل التأثير والإقناع.

3- إنَّ للرّوابط والعوامل دوراً بارزاً في الحجاج، وهو ما جعل كثيراً من الحجاجيين يهتمّون بها ضمن كتبهم ويفردون لها مقالات، وذلك لأنَّها تُعدُّ ركناً من أركان نظريّة الحجاج، وتُسهم الرّوابط الحجاجيّة في تشكيل البنية الحجاجيّة اللغويّة العامّة للخطاب.

4- قدرة ابن زكري على تملّك أدوات اللغة والرّوابط الحجاجيّة، وتوظيفها توظيفاً يدعم حجّته، وامتلاكه لطاقات تعبيريّة فذّة بالإضافة إلى كثرة الألوان البيانيّة التي أضافتها القوّة الحجاجيّة، فكانت سبيلا في تحقيق الإمتاع والإقناع.

5- ضرورة معرفة أنواع الحجج، والفوارق القائمة بينها، لفهم ما خفي من مقاصد الشّاعر وأهدافه، فشعر ابن زكري يزخر بالحجج تبيّن الواقع من شاهد ومثال وقدوة وتمثيل؛ ليحمل متلقّيه على الإذعان والتّسليم بوجهة نظره.

6- من خلال التّحليل السّابق تأكّد لنا أنَّ تلك الرّوابط الحجاجيّة التي وردت في شعر ابن زكري قد ساهمت في حجاجيته، وساعدت على تلقّي الخطاب وفهمه والاقتناع به، وساعدت الرّوابط بالوصل بين الحجج والنّتائج وتتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها أو تثبيت نتيجة، ومنها ما أفاد تدعيم الحجج بعضها ببعض ومساندتها أو تقوية النّتيجة وتوجيه القول.

7- كشف لنا شعر ابن زكري عن بعض الآليات اللغويّة الحجاجيّة، من خلال الاعتناء بحروف الرّبط، وحسن اختيارها وأماكن تواجدها في النّفس من أجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباحث منذ البداية، وهذا ما يُعرف بـ (الرّوابط الحجاجيّة).

8- إنَّ السّلم الحجاجي يعتمد على التّدرج في استخدام الحجج وتُسهم الرّوابط في الانسجام الشّعري، وهذا كلّه من أجل الحصول على شعر أكثر اقناعاً.

قائمة المراجع:

1- القرآن الكريم (برواية حفص)

2- أبعاد اللسانيات التداولية في تعليم اللغة، مقاربة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إعداد يوسف صبح عودة الفقهاء، أطروحة دكتوراه: 2018م.

3- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد بابل عيون سود، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ط/1.

4- استراتيجيات الخطاب عبد الهادي بن ظافر الشهري، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط2004/1م.

5- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

6- التداولية، تأليف جورج بول، ترجمة د. قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط/ 2010م.

7- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، وآخرين، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ط1/ 1964.

8- جنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1/ 1992.

9- الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، الجزائر، 2012م.

10- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، شرحه وعلّق عليه ووضع فهارسه، د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت ط 1.

11- دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي " دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، المحور القاني: علم اللغة الحديث وتحليل الخطاب، د. ابتسام صغيور، أستاذ مؤقت، جامعة المسيلة.

12- ديوان مصطفى بن زكري الطرابلسي، 1853هـ - 1918م، تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي، منشورات دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط1/ 1966م.

13- الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام إلى إسحق بن إسماعيل النيسابوري. أ.د عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية، دواة/ مجلة فصلية محكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية.

14- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة/11، 1983م.

15- في النحو العربي، لمهدي المخزومي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط1987/2م.

16- لسان العرب للإمام العلّامة ابن منظور، دار إحياء التراث، مصححة من قبل أمين محمد عبد الوهّاب، وأخر، بيروت- لبنان، ط3.

17- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

18- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، 2006م.

19- المظاهر الحجاجية في الخطاب الإعلامي المرئي، "حصة الاتجاه المعاكس" مذكّرة مقدَّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص علوم اللسان، إعداد الطالبيتين: بوقرشي كهينة، وبوخنيفرة وسام، إشراف الأستاذ: خيار نور الدين، جامعة عبد الرحمان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي.

20- مقاييس اللغة، لابن فارس، راجعه، أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهر، ط/ 2008م.

21- المقتضب، لأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط/2010م.

22- نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم، الحجاج في اللغة، د. حمادي صمود، ط/2، من منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس.